تعريف وتقييم المباني الاثرية و ذات القيمة

إن تعريف وتصنيف الأبنية الأثرية وذات القيمة لتحديد سياسات التعامل معها هو أول الخطط العامة لسياسات المحافظة على التراث المعماري. والتصنيف الحالي للأبنية الأثرية والذي يتم على أساس عصر بناء الأثر) إسلامي– فرعوني – يوناني – روماني – مسيحي (غير دقيق ولا يحدد القيمة الفعلية للأثر وبالتالي يتساوى العديد من الأبنية الهامة تاريخيا وأثريا مع أبنية أخرى صنفت كآثار لمرور مائة عام على إنشائها ولا بد من وضع تصنيف دقيق للأبنية الأثرية طبقا لقيمتها الحقيقية وليس تاريخ إنشائها وطبقا لجميع دول العالم التي تمتلك الأبنية الأثرية يستدعى وجود تصنيف لها ولضمان ملائمة الأسلوب المتبع في التعامل مع الأثر لقيمته الفنية والتاريخية.

أولا :بعض المفاهيم الخاصة بالأبنية الأثرية وذات القيمة:

•**تعريف الأثر :**هو عبارة عن كل عقار أو منقول أنتجته الحضارات المختلفة أو أحدثت الفنون والعلوم والآداب والأديان، وكانت له قيمة أو أهمية أثرية أو تاريخية باعتباره مظهرا من مظاهر الحضارات المختلفة، وتشمل الآثار رفات السلالات البشرية والكائنات المعاصرة لها، كما يعتبر أي عقار أو منقول ذو قيمة تاريخية أو علمية أو دينية أو أدبية متى كانت للدولة مصلحة قومية في حفظه وصيانته دون التقيد بالحد الزمني السابق.

•**تعريف التراث :**إن المادة لا تصبح تراثا ما لم تكن اكتسبت قيمة نوعية، تنعتها بالتراث وهي بالأساس علاقة بين الإنسان والمادة، أي تلك القيمة التي يمنحها المجتمع ذاته.

•**تعريف التراث المعماري :**هو مجموعة المنشآت التي أثبتت قيمتها وأصالتها في مواجهة قوى التغيير فصارت مرجعا بصريا على تعامل الإنسان مع البيئة، وبذلك يصير التراث المعماري هو أحد ركائز الطابع المعماري والهوية للمجتمعات.

•**تعريف القيمة :**إن القيمة بالمفهوم العام (أخلاقية – اجتماعية – دينية)، هي تعبير عن الوجود الإنساني في الوقت الذي تكون فيه حكمًا يصدره الإنسان.

•**تعريف المنشآت ذات القيمة :**هي المنشآت التاريخية التراثية المعروفة بقيمتها المعمارية أو المنشآت التي تروي تاريخ المدينة نتيجة ارتباطها بأحداث أو أشخاص أو أنشطة تميز أماكن أو طرزا وحتى حقبات بذاتها.

•**مفهوم الحفاظ والتحكم في العمران :**هو تلك العمليات التخطيطية العقلانية الواعية والمستمرة الارتقائية المتكاملة والموجهة إلى مناطق تركيز المباني ذات القيمة الأثرية في عمران المدن القائمة بهدف المحافظة عليها وعلى الطابع المميز لها.

ثانيا :تقييم المنشات الأثرية وتحديد أولوية الحفاظ:

الغرض من عملية التقييم هو تحديد أولويات الحفاظ وأسلوب التعامل الأمثل طبقا لتصنيف الأثر ودرجة أهميته.. ويعتبر مبدأ التقييم من المبادئ الأساسية للوصول بسياسات التعامل مع الأبنية إلى الواقعية المطلوبة للتطبيق وضمان تحقيق النجاح، وخاصة في البلاد التي تعاني من الأزمات الاقتصادية، حيث قلة الموارد التي تساعد على احتواء عمليات الحفاظ والصيانة للكم الهائل من المباني ذات القيمة. ويشارك الأثريون بتحديد وتوضيح قيمة الأبنية سواء على مستوى المدينة أو على المستوى القومي، وكذلك على مستوى المبنى الأثري بتحديد الأجزاء ذات القيمة وتصنيفاتها في درجات طبقا لقيمتها الفعلية.

...وكثيرا ما يحدث صدام بين الأثريين والمعماريين، فالأثري يريد الحفاظ على كل شئ بدون تغيير، مما يتعارض مع تحقيق الوظائف المطلوبة ويؤدي إلى الركود لمناطق هامة ومحببة إلى قلوب الناس. والتصنيف الدقيق للأبنية الأثرية وتحديد درجاتها يساعد على الحفاظ على الأبنية الهامة وعدم تشتيت مصادر الإنفاق في أعمال غير هامة أو غير ذات قيمة.

ويمكن تقييم الأبنية بأربعة قيم رئيسية هي :

1. قيمة تاريخية.
2. قيمة قومية.

3. قيمة عمرانية.

4. قيمة معمارية.

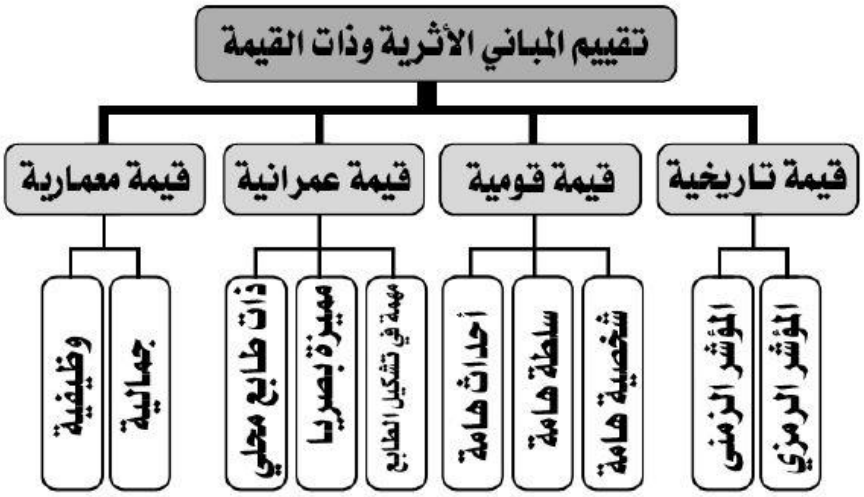

1. القيمة التاريخية للأبنية:

وتتمثل في الأبنية القديمة من العصور الماضية، وتعتبر كسجل لمجتمع ما، والقيمة العامة لهذه الأبنية تزداد بزيادة قدم المبنى ومدى تعبير المبنى عن عصره وأصالة مواد المبنى وما طرأ عليها من تغيرات. ولا تتأثر هذه القيمة بحالة الأثر فقد يكون المبنى مكملا أو بقايا حجرية يتم الحصول عليها من عمليات الحفر والتنقيب، وقد تكون هذه البقايا الحجرية ذات قيمة تاريخية لا تعوض.

ويمكن قياس القيمة التاريخية للأبنية باستخدام مؤشرين أساسيين:

اولاً: المؤشر الزمني : ويعبر عنه تاريخ إنشاء الأثر أو المبنى ، وكلما كان تاريخ الأثر أو عمر الأثر كبيرا كلما زاد هذا المؤشر وكلما أصبح الأثر ذا قيمة أكبر.

ثانيا : المؤشر الرمزي : ويتأثر هذا المؤشر بعدد من المؤثرات أهمها:

- مدى تعبير المبنى الأثرى عن عصره وتاريخه.
- قياس الندرة للأبنية كلما كان نادرا زادت قيمته.

- قوة وتأثير الحدث المرتبط بالأثر وأهميتها العلمية.
- مدى أصالة المواد الموجودة في المبنى الأثري وعدم وجود إضافات أو تغيرات لاحقة.
- أهمية الفترة التاريخية التي ينتمي إليها الأثر.

وجميع المؤشرات السابقة يمكن قياسها بدقة وزيادتها تؤدي إلى زيادة وارتفاع القيمة الرمزية للمبنى. كذلك فإن التعامل مع هذه النوعية من الأبنية يتطلب دقة متناهية ودراسات مستفيضة قبل تقرير السياسة الملائمة، ويلاحظ أن الإضافة لهذه النوعية من الأبنية يمثل خطورة شديدة على القيمة الفعلية للمبنى، وكذلك فإن إعادة البناء لا بد أن تكون باستخدام مواد المبنى القديمة فقط وبدون أي إضافات إلا في الضرورة القصوى، ويجب التمييز بين الأصلي والمضاف لهذه النوعية من الأبنية.

تعتبر القيمة الوظيفية تدعيما للقيم التاريخية والفنية للأبنية الأثرية وذات القيمة، والقيمة الوظيفية للأبنية من القيم القابلة للتنمية بإعادة الاستخدام لهذه الأبنية بحيث لا تتعارض الوظيفة أو تؤثر على طابع المبنى كوثيقة تاريخية وفنية. وطبقا للمواثيق الدولية للترميم وصيانة الأبنية الأثرية، فيمنع استخدام الأبنية الأثرية استخداما يتعارض مع حقيقتها التاريخية أو الفنية، ولا بد أن تتوافق القيمة العملية للأبنية مع قيمتها التاريخية والفنية.

كذلك فإن القيمة الإنشائية والتي غالبا ما تكون بنيت لغرض مؤقت أو دائم، وتمثل قيمتها فيما تحويه من إنشاء مادي.

2. القيمة القومية:

ويمكن تقسيم هذه النوعية من الأبنية إلى:

أ -المباني المرتبطة بالأحداث الهامة : وهي أبنية ترتبط بحدث ما أثر في المجتمع سواء على المحيط العمراني للمبنى أو على المستوى القومي، وهذه النوعية من الأبنية تزداد قيمتها بزيادة قيمة الحدث المرتبطة به. وتقل القيود المفروضة على التعامل مع هذه النوعية من الأبنية عن المستوى الموجود بالأبنية التاريخية، ويتم الحفاظ عليها بالمحافظة على الأجزاء المرتبطة بالحدث بالدرجة الأولى.

ب -مباني تعبر عن سلطة هامة (وظيفة هامة): وهي أبنية تكتسب قيمتها وأهميتها من وظيفتها أو وجود سلطة ما تشريعية أو تنفيذية أو قضائية تشغل المبنى والقيمة الرمزية لهذه الأبنية مرتفعة وهي القيمة الأساسية لهذه النوعية من الأبنية.

ت -مباني لها علاقة بشخصيات هامة: وهذه النوعية من الأبنية ترتبط بالشخصيات العامة في المجتمع سواء الموجود حاليا ولا زالت تشغل هذه الأبنية، أو التي كانت تعيش في فترات سابقة، وتزداد قيمة هذه المباني بزيادة أهمية الشخصية التي كانت تشغلها. إن الحفاظ على هذه الأبنية يتمثل في الحفاظ على نمط وأسلوب الحياة المرتبطة بهذه الشخصية وأهم أعمالها.

3-القيمة العمرانية:

تتمثل القيمة العمرانية للمبنى الأثرية كونه أحد المباني التي تؤلف فيما بينها نسيجا عمرانيا تاريخيا مميزا بتناسق كتله وارتفاعاته وألوانه مع ما حوله، وما يضمه هذا النسيج من ممرات وفراغات ذات طابع تاريخي خاص، وقد لا يضم المبنى أي من القيم التي تم ذكرها سابقا إلا أنه يمثل قيمة عمرانية ببقائه ضمن النسيج التاريخي لتناسق ارتفاعاته وكتله مع ما حوله.

ويمكن تقسيم هذه النوعية من الأبنية إلى عدة أنواع:

أ -المباني ذات الطابع المحلي: والتي تمثل السمات المحلية للمنطقة في فن المعمار المحلي باستخدام المواد المحلية في أعمال البناء، وقد تمثل هذه النوعية من الأبنية أهمية على المستوى القومي.

ب -الأبنية المميزة بصريا: وهي الأبنية المثيرة للانتباه والمتميزة في اللون أو الحجم والتشكيل المعماري، والتي يمكن تميزها بوضوح داخل المدينة، ويمكن من خلالها تكوين الصورة البصرية للمدينة بسهولة ويسر، حيث أن إزالة هذه الأبنية يؤدي إلى انهيار التشكيل العمراني، وتعتبر هذه النوعية من الأبنية هامة على مستوى المحيط العمراني، كذلك فإن الحفاظ عليها يتم بالحفاظ على التشكيل الخارجي مع إمكانية تغيير الداخل طبقا للاحتياجات الوظيفية.

ت -أبنية هامة في تشكيل الطابع العام: وهذه الأبنية تكون مع ما حولها من أبنية طابعا عمرانيا مميزا لمنطقة ما، وتكون متناسقة من حيث الألوان والتشكيل وخط السماء ، وعند التعامل مع هذه النوعية من الأبنية لا بد من الحفاظ على الواجهة الخارجية، وفي حالة إعادة البناء لا بد أن يكون متناسقا مع نفس الطراز القديم للواجهة.

4-القيمة المعمارية:

وتشمل القيمة الجمالية والوظيفية والإنشائية للمبنى، حيث تعبر القيمة الجمالية للمبنى الأثري بكونه عملا فنيا جماليا وهي تمثل الجانب الانفعالي للمبنى الأثري أو الأبنية ذات القيمة الفنية، كالأبنية التي تقام بغرض جمالي بحت، كالنصب التذكارية أو مداخل المدن والأبنية التذكارية، والقيمة الفنية والجمالية للأبنية من المحددات الرئيسية لقيمة المبنى كأحد الأبنية الجديرة بالحفاظ عليها إلا أنه من الصعب قياسها أو تحديدها. أما القيمة الوظيفية فهي ما تتميز به الأبنية المعمارية عن الفنون الأخرى، وجميع الآثار المبنية شيدت لأغراض ووظائف خاصة، وتعتبر حالات مثالية إذا كانت تستخدم حتى اليوم في نفس الوظيفة الأصلية كالجامع والكنيسة اللذان ما زالا يستخدمان حتى اليوم في ممارسة شعائر العبادة.

...ويمكن قياس القيمة العملية للأبنية الأثرية بمدى الأهمية الوظيفية التي يؤديها المبنى، وتعتبر هذه القيمة أقل للأبنية الغير مستخدمة والتي لا تصلح للاستخدام كالأسوار التي كانت تستخدم حول المدن والقصور، وأصبحت حاليا غير ذات قيمة وظيفية، ويمكن تقييمها عمليا بمدى وظيفتها في التشكيل العمراني للمدينة أو استخدامها كمزار ناجح.